الفصل الأول

الاطار التاريخى لفكرة التنظيم الدولى الإسلامى

يفترض لقيام التنظيم الدولى عادة وجود وحدات سياسية تنشأ بينها علاقات لها طابع دولى ، لذلك فإن الترتيبات أو التنظيمات السياسية أو الوظيفية التى نشأت عبر عصور التاريخ بين مجتمعات سياسية ليس لها طابع الوحدة السياسية والقانونية لا تعد تنظيمات دولية طالما أن تلك الوحدات لم يكن لها وصف الدول ، وهذا المعيار هو الذى دفع جانبا من الباحثين إلى الشك فى اعتبار العلاقات والتنظيمات التى قامت بين دول المدينة اليونانية أو بين دول ومستعمرات أو بين امبراطوريات ومستعمرات أو بين توابع لتلك الامبراطوريات التى عرفها التاريخ بمثابة علاقات أو تنظيمات دولية • ولكن يبدو أن هذا المعيار يغفل المفاهيم السائدة فى كل عصر ويستقرىء التاريخ السياسى والقانونى بطريقة رأسية يغلب عليها التأثير بالمعايير الحديثة لنظرية الدولة •

وسوف نحاول البحث عن الممارسة والفكر الإسلاميين لنظرية التنظيم الدولى منذ نشأة الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة حتى الآن وذلك فى مبحثين • نعالج فى أولهما عصور الخلافة الإسلامية ، وفى الثانى مرحلة المؤتمرات الإسلامية •

المبحث الأول

عصور الخلافة الإسلامية

لا ننوى الدخول فى الجدل الفقهى والتاريخى حول الخلافة والإمامة وغيرهما من مصطلحات السنة والشيعة (١) ، ولكننا نقصر بحثنا على تقصى الآثار الفكرية والسلوكية المتصلة بالتنظيم الدولى فى العالم الإسلامى فى عصور الخلافة • ويجب أن ننبه منذ البداية إلى أن الإسلام لا يعترف بالتنظيم الدولى الإسلامى لسبب بسيط وهو أن من بديهيات الإسلام أن الله واحد ورسله إلى عباده متعددون ، ولكن هؤلاء العباد هم جملة البشر من آدم إلى نهاية العالم ، ثم البعث والنشور ، فالقيامة والحساب • وهذه الحقيقة الثابتة ماثلة فى آيات الاحكام ، والأحاديث النبوية الصحيحة مما يضيق عن الاحاطة بها هذا المقام • فالإسلام يعترف فقط بالأمة الواحدة الإسلامية وإن رسالته لغير هذه الأمة من كافة الشعوب والأقطار كى يدخلوا فى نطاق هذه الأمة « افواجا » ، وبديهى أن فكرة الدولة كما نعرفها اليوم هى من نتاج الفكر السياسى والقانونى الأوروبى حين كانت أوروبا تهم بالخروج من عصور الظلام الوسطى إلى عصور التنوير • ويبدو أن الإسلام يعتبر قيام الدول الإسلامية بالمفهوم الغربى يتناقض مع مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة ، ولما كان وجود الدول الإسلامية المستقلة حسب المعيار الذى قدمناه ، هو أولى شروط قيام التنظيم الدولى انتهينا إلى نتيجة منطقية وهى عدم اعتراف الإسلام فكريا وشرعيا بنظرية التنظيم الدولى • وتؤدى هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى وهى أن الخيار الوحيد هو الدعوة إلى الوحدة الإسلامية التى تنتظم

العالم الإسلامى بمعناه الدينى وليس الرسمى فقط ، أى وحدة ابناء العقيدة إينما كانوا ، وهذا يتصادم مع واقع الحياة الدولية المعاصرة ، ولكن ذلك لا يجب أن يقعد فقهاءنا عن البحث الجاد عن بدائل مقبولة وممكنة لكى يلتئم عقد الأمة الإسلامية (٢) ، وهنا يصبح التنظيم الدولى الإسلامى هو الصيغة الممكنة بحيث يصير وسيلة فعالة لصهر المواقف الرسمية الإسلامية والتقريب بين الدول الإسلامية وهذه هى رسالة المنظمات الإسلامية الدولية المعاصرة كما سنرى فى الفصلين الثانى والثالث من هذه الدراسة .

وقد امتدت الخلافة من وفاة الرسول ﷺ حتى سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا ، أى من خلافة « أبو بكر الصديق » عام ٦٣٢ حتى عام ١٩٢٤ « ١٢٩٢ عاما » ويمكن التمييز بين أربعة عصور لمفهوم الخلافة ومضمونها خلال هذه الثلاثة عشر قرنا تقريبا . ويقسم مجيد خضورى (٣) تطور الدولة الإسلامية خلال نفس الفترة إلى ستة عصور : الأول دولة المدينة « ٦٢٢ — ٦٣٢ » — العصر الاستعمارى « ٦٣٢ — ٧٥٠ » الدولة العالمية « ٧٥٠ — ٩٠٠ م » اللامركزية « ٩٠٠ — ١٥٠٠ » عصر التمزق Fragmentation « ١٥٠٠ — ١٩١٨ » وأخيرا عصر الدولة الوطنية « منذ ١٩١٨ » .

العصر الأول — عصر الخلافة الراشدة « ٦٣٢ — ٦٦١ م » :

معلوم أن الرسول ﷺ أقام أول مجتمع سياسى إسلامى فى المدينة المنورة ووضع له وثيقة تاريخية اختلف الباحثون على تسميتها : فهى عند البعض دستور ، وعند غيرهم معاهدة (٤) ، ولكن أيا كانت التسمية فإن الوثيقة أنشأت أول أمة — دولة Nation - State

فى تاريخ الإسلام ، حيث اشارت الوثيقة إلى أن « المسلمين أمة واحدة من دون الناس » علما بأن دولة المدينة ضمت اليهود أيضا .

وخلال حكم الخلفاء الراشدين اضطرد فتح البلاد من خارج الجزيرة العربية وظل جهاز الحكم فى المدينة مركز القيادة والتوجيه والإدارة للأمة الإسلامية التى شملت إلى جانب المدينة كل المسلمين فى البلاد المفتوحة . وخلال فترة حكم الخلفاء الراشدين ، لم يكن من المتصور قيام تنظيم دولى إسلامى بين المدينة والبلاد المفتوحة ، اذ كان الخليفة هو الحاكم الأعلى فى السلطة المركزية ويمثله عماله فى تلك البلاد ، ولاة إداريين وحكاما سياسيين ، ودعاة لدين الله وفقهاء مرشدين .

العصر الثانى — عصر الخلافة الملكية ٦٦١ — ١٢٥٩ :

انتهت خلافة الشورى ، بمقتل على وتولى بنى أمية الذين حولوا الخلافة إلى ملك عضوض من ٦٦١ — ٧٥٠ م ، فالحكم صار وراثيا ، سلميا تارة وغصبا بالقتل تارة أخرى بدءا من معاوية وانتهاء بمروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية مرورا باثنى عشر خليفة بينهما . ولا خلاف بين المؤرخين الآن (٥) على أن معاوية أخذ الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وإنه لم يكن من الراشدين ، أى صحابة النبى الذين تولوا الخلافة بعده .. فلهذا لازم الخلافة فى عهده طابع سياسى أكثر منه دينى ، وأصبح الحكم فى عهد بنى أمية ملكا مطلقا بدءا بمعاوية « أول الملوك » فى مقر الخلافة الجديد فى دمشق ، وإن كان قد ابقى على نظام الحكم الذى وضعه عمر (٦) ، وإنه رغم طابع الملك ابقى على لقب أمير المؤمنين الذى كان عمر قد أوجده — بعد حركة الفتوح — عن لقب الخلافة فى زمنه (٧) .

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الفرق بين الخليفة والملك قد عرض فى بعض مجالس عمر بن الخطاب (٨) ، أى قبل أن يحدث التحول عمليا بعد على .

وخلال فترة الخلافة الأموية لا نعرف شيئا عن مقترحات لاقامة تنظيم دولى فى اطار دولة الخلافة حتى فى أواخر عهدها واستسلامها للحكم العلوى ونشأة الدولة العباسية فى بغداد .

الخلافة العباسية : ٧٥٠ ــ ١٢٥٩ :

ظلت الخلافة العباسية فى بغداد حتى غزو التتار لها وقتلهم الخليفة قبلة المسلمين ، رغم تعدد مصادر تحديها مثل قيام الحكم الأموى فى الأندلس ، وظهور دولة مستقلة شيعية فى المغرب العربى ، ودول أخرى مستقلة فى مصر وتونس وغيرها .

وحتى فى عصور الانشقاق على الخلافة العباسية ، وخلال عصور ضعف هذه الخلافة ، فقد كانت لا تزال مصدر الشرعية فى العالم الإسلامى ، وكان حكام هذه الدول المختلفة يحرصون على الحصول على موافقة الخليفة العباسى على تنصيبهم ، باعتباره خليفة النبى ﷺ ومصدر قوة المسلمين ، ومن أمثال ذلك محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية وبن تاشفين زعيم المرابطين (٩) .

ويقول سير توماس ارنولد : أن الخليفة لم يكن من القوة بحيث يستطيع أن يعارض فى شىء ، بل يحتمل إنه كان يقابل مثل هذه المطالب بالارتياح والقبول ، لأنها اعتراف بسلطته النظرية فى وقت أمتدت فيه رقعة الدولة الفاطمية على حساب الدولة العباسية المنحلة المتداعية(١٠) .

وفى عصر انحلال الدولة العباسية بدأ الفقهاء والفلاسفة والمفكرون يبحثون مسألة الخلافة وضرورتها من الوجهة الشرعية ، حين لم يبق للخليفة شيء ، وحين تفرق العالم الإسلامى ممالك وامارات مستقلة(١١). كما بدأوا يبحثون امكانية تعدد الامارات والممالك فى ظل الخلافة .

والحق أن الفقهاء المسلمين قد اجمعوا على ضرورة الخلافة من الناحية الشرعية بصرف النظر عما آلت إليه من الضعف والانهيار من الوجهة العملية ، ونذكر منهم البيرونى ، والماوردى ، والسمرقندى ، وابن حزم ، والفارابى ، وإخوان الصفا والسهروردى ، وابن خلدون، إلى جانب بعض المستشرقين والمفكرين المتأخرين .

أما قضية تعدد الدول الاسلامية فى ظل الخلافة ، بل وتعـدد الخلفاء والسلاطين ، فقد تمسك كبار الفقهاء فى البداية بعدم الاعتراف إلا بخليفة واحد هو الخليفة العباسى « نظرية وحدة الخلافة » مقابل قبول بعضهم بتعدد الخلفاء « نظرية التعدد » ، ولكن ضعف الدولة العباسية ، وتعدد الخلفاء فى المغرب ومصر والأندلس أدى إلى ظهور نظرية ثالثة عبر عنها الماوردى فى « الأحكام السلطانية » وتجيز تعدد الحكام بشرط ولائهم للخلافة (١٢) . وساعد على ظهور هذه النظرية تعدد المفاهيم الفلسفية للسلطة ، فالخلافة العباسية التى قامت على الحق الآلهى فى الحكم ، يقابلها الخلافة الفاطمية ، والخلافة الموحدية فى المغرب ، والحكم فيها وراثى ، بخلاف الخلافة الأموية فى الأندلس، التى استند حكمها على قوة الحاكم . بل أن بعض الحكام المرابطين تسمى بلقب أمير المؤمنين ، واعتقد المرابطون انهم أحق بالخلافة من العباسيين .

غير أن يوسف بن تاشفين أصر على أن لقب أمير المؤمنين حكر على الخليفة العباسي ، ولقب نفسه بأمير المسلمين وناصر الدين (١٣) ، وطلب من الخليفة الاعتراف له بالامارة ، فأجابه إلى طلبه بناء على فتوى الغزالى (١٤) .

ويذكر الدكتور العبادى (١٥) أن أئمة المسلمين كانوا قد اجازوا تعدد الخلافة للضرورة والمصلحة ، وهى اتساع رقعة الإسلام ، وتباعد أطرافه وصعوبة المواصلات فيه ، إلا أنهم اشترطوا لذلك وجود مسافة كبيرة بين الخليفة والآخر منعا للتصادم والتشاحن ولحماية المسلمين من شرور الفتنة ، ولكن الأندلس خرجت عن هذا الأصل الشرعى ، فأجازت العقد لخلفاء عديدين فى صقع متضايق الأقطار مما ســماه ابن حزم بأنه « فضيحة لم ير مثلها » .

وبعد قتل الخليفة العباسى المعتصم عام ١٢٥٨ ، كان طبيعيا أن يتنافس البعض على وراثته ، فأعلن عبد الله الحفصى « الحفصيون فى تونس » عام ١٢٥٩ انه صار أمير المؤمنين ووريث الخلافة العباسية بعد مبايعته فى مكة والمدينة (١٦) ، ويرى البعض أن ذلك هو الذى حدا بمصر إلى إحياء الخلافة بها بعد زوالها من بغداد (١٧) .

العصر الثالث — عصر الخلافة الصورية فى القاهرة : ١٢٥٩ — ١٥١٧

بعد زوال الخلافة فى بغداد ، ونقلها إلى القاهرة على يد الظاهر بيبرس لاعتبارات سياسية أنتهى نظام الخلافة القديم ، فليس للخليفة فى القاهرة ذكر أو سلطان ، كما لم تعترف الدول الإســلامية بخليفة القاهرة ، وأصبح فى استطاعة كل حاكم فى البلاد الإسلامية أن يلقب نفسه خليفة ، بحيث صار اللقب يعنى الحاكم ولا يعنى مؤسسة الحكم

الروحى المعروفة (١٨) • وقد ظل بعض الحكام فى الهند واليمن يعترفون بخليفة بغـداد بعد زواله ، ولم يعترف أحد بخلافة القـاهرة أو تونس (١٩) • وانتهت خلافة القاهرة عام ١٥١٧ بينما انتهت خلافة تونس عام ١٥٧٤ •

ورغم أن هذا الجو الذى ساد خلال هذه الفترة كان أنسب فرصة لقيام تنظيم دولى إسلامى يجمع الدول الإسلامية المتصارعة والمبعثرة، إلا أننا لا نعلم شـيئا عن ذلك فكرا أو مسـلكا ، فقد بدأت الدول الإسلامية التى عاشت عصر اللامركزية تنخرط فى مجتمع الأمم الوليد وتقبل بأحكامه •

العصر الرابع — عصر الخلافة الإسلامية فى اسطنبول ١٥١٧ — ١٩٢٤

بعد غزو الأتراك العثمانيين لمصر انتقـل منصب الخليفـة إلى اسطنبول وظل صوريا مثلما كان فى مصر ، رغم عظم موقع الخليفة ولقبه فى النظام السياسى بجانب الباب العالى « السلطان » ، والصدر الأعظم « رئيس الحكومة » • واذا كان منصب الخليفة قد استغل فى مصر لأغراض سياسية ، وظل صوريا فى مصر ، فلم يكن له أثر فى بقية العالم الإسلامى لأن مصر كانت إحدى دول ذلك العالم الواسع الواقع تحت حكم أمراء المماليك • وفى الدولة العثمانية ، ظل المنصب صوريا أيضا لكن الدولة حاولت الاستفادة منه فى سياساتها على نطاق واسع (٢٠) حتى الغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا عام ١٩٢٤ ، وإن كان الشك لا يزال قائما حول مدى سلطة الحاكم فى تركيا فى الغاء نظام يهم المسلمين جميعا ، غير اننا سبق أن اشرنا إلى موت الخلافة بعد سقوط بغداد ، وعدم الاعتراف بالخلافة فى القاهرة •

ولا يعنينا فى هذا المقام الخوض فى الجدل الذى لا يزال محتدما حول الدور الإسلامى للدولة العثمانية ، ولكن تكفى الاشارة إلى أنه رغم تعاطفنا مع هذا الدور ، فلم تكن حروبها استكمالا لحركة الفتوح الإسلامية فى العصور الإسلامية السابقة ، بل كانت اقرب إلى أن تكون بمثابة صراع سياسى له طابع دينى •

ورغم ما قدمت الدولة من نفع للقضايا الإسلامية وما كان لبعض قادتها من مواقف نافعة يحفظها التاريخ (٣١) ، فإن علاقتها بالمماليك والأقاليم الإسلامية كانت علاقة استعمارية لا يمكن مشابهتها بتلك العلاقة التى كانت قائمة بين مركز الخلافة فى المدينة أو دمشق أو بغداد ، وبين بقية الممالك والامارات الإسلامية • ولذلك لم يكن من الممكن أن يقوم تنظيم دولى بين الممالك الإسلامية التى احتلتها قوات الدولة العثمانية ، أو بينها وبين تلك الدولة ، حيث كانت تلك الامارات والممالك مجرد ايالات تحكم من قبل حاكم تعينه الدولة ، وتسانده قوات تركية دائمة •

وتذكر بعض المصادر (٣٢) أن الدولة العثمانية حاولت الاستفادة من وضعها الإسلامى وذلك باشاعة مفهوم الخلافة العالمية منذ القرن السادس عشر ، أى منذ غزوها للشام ومصر ونقل الخلافة إليها ، وقدمت العون لمختلف الامارات الإسلامية التى واجهت ضغوطا مقابل الاعتراف لها بهذا الدور ، على أساس أنها السند والمركز للدفاع عن الإسلام والمسلمين •

كذلك حاولت الدولة العثمانية أن تستفيد سياسيا من فكرة الجامعة الإسلامية التى تنسبها المصادر التاريخية إلى جمال الدين الأفغانى •

الجامعـــة الإســـلامية Pan Islamism

كانت الدعوة إلى وحدة المسلمين وترابطهم فى جامعة الإسلام محط اهتمام كافة المصلحين فى العالم الإسلامى فى كل العصور ؛ خاصـــة كلما تفرق شملهم واختلفت كلمتهم وتربص بهم اعداؤهم (٢٣) .

وأول من نادى بها فى العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والكواكبى فى كتابه « طبائع الاستبداد » ضد السلطان عبد الحميد ، فى كتابه « أم القرى» الذى تضمن خطة الجامعة الإسلامية . وحارب السلطان تلك النزعة فى البداية ، ثم احتضنها لما تبين له من نفعها (٢٤) .

ويذكر الأستاذ أحمد أمين (٢٥) أن الجامعة الإسلامية كانت ردا على الحركة الصليبية والتبشيرية المعادية للمسلمين ، كما أن الدعوة إليها اثارت ردة مضـــادة تزعمها رئيس المبشرين زويمر الذى عقد مؤتمرا مضادا فى سبتمبر ١٩١٢ ، وكان موضوعه الجامعة الإسلامية وكيفية مقاومتها (٢٦) .

ويذكر ستودارد (٢٧) أن الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام هى الشعور بالوحدة التامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المسلمين فى المعمور الإسلامى . وهى قديمة ترجع إلى عهـــد صاحب الرسالة منذ اجتمع المسلمون حوله فى رابطة جامعة إسلامية وبصرف النظر عما تردد من أهـــداف سياسية لدعاتهـــا فى مختلف العصور ومحاولات تركيـــا اســـتغلالها ، فقد كانت رد فعـــل على ضـــعف العـــالم الإســـلامى ، وهـــوانه ، وتعبيرا عن التحـــدى الدينى الســـياسى والعســـكرى المســـيحى الاســـتعمارى للعـــالم الإسلامى ، بدليل أن الدعوة إليها كانت تتأرجح كلما اتضحت معالم

الروح الصليبية الأوروبية ضد المسلمين ، فهى من الناحية السياسية حركة للتحرر من الاستعمار الغربى ، وتضامن المسلمين لما فيه مصلحتهم ومن الناحية الدينية انتصار للإسلام ضد الصليبية .

وهى من الناحية الاقتصادية التحرر من السيطرة الاستعمارية فى المجالات الاقتصادية ، والتعاون والتنسيق بين الدول الإسلامية من أجل ادارة أفضل لمواردها ومبادلاتها التجارية .

اعتمد نشر الفكرة على الطرق الصوفية والصحافة الإسلامية ، واعتمد تأصيلها منذ منتصف القرن التاسع عشر على جمال الدين الأفغانى . ولا يهمنا فى هذا المقام ما احيطت به دعوة الجامعة الإسلامية من لمزات سياسية ، بل هى فى سياق نهضة العالم الإسلامى حركة سلفية تتحدى الاستعمار ونظريات التطور عن طريق التغريب .

والجامعة من ناحية أخرى إحياء لروابط تفككت لضعف الخلافة وانهيارها ، فهى إذن دعم للخلافة وليست بديلا لها .

وبصرف النظر عما يثار من شك حول دوافع جمال الدين الأفغانى (٣٨) فهذه الدعوة قد استنهضت فكرة إحياء الخلافة العربية لتناهض الحركة الطورانية لكنها اصطدمت فى إحدى المراحل بدعوة الخلافة الإسلامية (٣٩) . وعلى أية حال فقد الغى كمال اتاتورك الخلافة عام ١٩٢٤ .

ورغم أن الخلافة كانت مجرد رمز ، وكان الخليفة لا سلطان له (٤٠) ، إلا أن الغاء هذه الخلافة لقى اصداء مريرة فى ربوع العالم الإسلامى ، وانقلب اعجاب المسلمين بأتاتورك إلى عداء شديد (٤١) ، كما أن هذا الاعلان قد اطلق شرارة معركة ساخنة على الصعيد الفكرى

والدراسات الشرعية بين انصار فكرة الخلافة واعدائها (٣٢) • أما الأزهر فقد اصدر بيانا عقب الغاء الخلافة بأربعة أيام « أى يوم ٢٥ مارس ١٩٢٤ » أكد فيه عدم شرعية عزل الخليفة ، ودعا إلى عقد مؤتمر يتقرر فيه مصير الخلافة • وكان علماء الأهر قد عقدوا فى ذلك اليوم مؤتمرا موسعا برئاسة شيخ الأزهر تكونت خلاله لجنة للاعداد للمؤتمر المقترح • وصدرت مجلة باسم المؤتمر الإسلامى فى اكتوبر ١٩٢٤ اعلنت فى أولى اعدادها أن المؤتمر سيتجاوز بحث الخلافة إلى بحث أسس حكومة إسلامية ، ومنهج تعليمى إسلامى (٣٣) •

وقد نرتب على الغاء الخلافة أثران هامان : أولهما : توقد الشعور الدينى فى العالم الاسلامى مما ساعد على نشأة الحركات والأحزاب الإسلامية لتقف ضد التغريب والشيوعية والعلمانية التى اتخذت طابع الدعوات الوطنية والقومية • والأثر الثانى : هو بروز ظاهرة المؤتمرات الإسلامية بديلا عن الخلافة •

والجامعة الإسلامية خط سياسى فى السياسة التركية بعد تبنى الدعوة لها ، ولم تكن لها مؤسسات أو أمانة أو طابع تنظيمى ، كما أن طبيعة العلاقة الاستعمارية بين تركيا والدول الإسلامية ، يجعل من الصعب اعتبار الجامعة تجربة إسلامية فى سياق التنظيم الدولى الإسلامى •

المبحث الثانى

ظاهرة المؤتمرات الإسلامية فى سياق التنظيم الدولى الإسلامى

كان من آثار الغاء الخلافة تردد الدعوات لعقد مؤتمرات إسلامية للنظر فى حالة المسلمين بعد الغائها ، وقد نشب صراع وتنافس بين بعض الحكام المسلمين لوراثة منصب الخليفة (٣٤) • غير أن هنـاك بعض المبادرات لعقد مؤتمرات إسلامية مما يدخل — فى نظرنا — فى اطار حركة الجامعة الإسلامية ، لأن هذه المؤتمرات كانت تطالب بتجميع المسلمين حول الخلافة العثمانية بوصفها بؤرة العالم الإسلامى ، وعلى أساس الدور الإسلامى المركزى الذى قامت به الدولة العثمانية فى الشئون الدولية حسبما اعتقد أصحاب المبادرة لعقد تلك المؤتمرات • ومعنى هذا أن الجامعة الإسلامية وإن كانت دعوة عامة لا تحدها خطوط الزمان والمكان ، ولا ترتبط بواقعة أو أشخاص بأعينهم ، إلا أن ما نعنيه فى هذه الدراسة هى الجامعة الإسلامية التى ارتبطت بسياسة الدولة العثمانية فى فترة زمنية معينة • وحاولت عن طريقها تجنيد المشاعر الإسلامية لخدمة سياستها الخارجية الأوروبية وإزاء الولايات والاقاليم الإسلامية على السواء •

والجامعة الإسلامية بالمعنى المتقدم تتناقض مع ظاهرة المؤتمرات الإسلامية التى هى نقيض الخلافة العثمانية وتحد لسلطانها وطغيانها، وهى فى ذات الوقت بديل للخلافة ، وأداة لاستخلاص البديل فى آن واحد ، علما بأن بعض الأصوات كانت لاتزال تطالب باستمرار الخلافة فى الخليفة المعزول المنفى ، وتطالب حتى باستمرارها فى تركيا رغم

تخلى تركيا نفسها عن الموروث التاريخى الإسلامى بأكمله منذ عام ١٩٢٤ م .

وقد سبقت الاشارة إلى أن كافة المؤتمرات الإسلامية بلا استثناء ارتبطت بشكل أو بآخر بالدعوة إلى التخلص من الاستعمار الأوروبى، ومواجهة تحديه للعالم الإسلامى ، واستنهاض همم العالم الإسلامى المحتضر .

المطلب الأول

مبادرات المؤتمرات الإسلامية فى نطاق الجامعة الإسلامية المؤيدة للخلافة العثمانية

ضمن وسائل الدعوة للجامعة الإسلامية تصور الأفغانى مؤتمرا يضم علماء الدول الإسلامية يجتمع فى اسطنبول ويكون حكما فى قضايا المسلمين ، وتحترم الشعوب والدول الإسلامية قرارات هذا المؤتمر . فإذا اعتدت دولة أوروبية على دولة إسلامية ، أصدر المؤتمر اعلانا بالجهاد المقدس ضد المعتدى ، وقرر مقاطعة منتجاته وممثليه التجاريين. غير أن هذه الفكرة أخذت فى الذبول عندما حاول السلطان عبد الحميد أن يكون رئيس ذلك المؤتمر (٣٥) .

وخلال الربع الإخير من القرن التاسع عشر أيضا ، طالب الشيخ الرايس أحد أفراد أسرة القاجار باقامة جمعية يطلق عليها جمعية تقدم الإسلام « Progress of Islam » تضم الشيعة فى البداية ، ثم تشمل كافة المسلمين فيما بعد ، وروج للفكرة فى كتاب بعنوان « الاتحاد الإسلامى » (٣٦) .

وتوالت الدعوات لعقد المؤتمر الإسلامى ، منها دعوة جماعة تضم بعض الهنود والعرب والترك عام ١٨٩٦ م إلى مؤتمر إسلامى لمناقشة مختلف القضايا الإسلامية واقترحت بعض العواصم الإسلامية لعقده وهى طنجة ، أو القاهرة أو غرناطة (٣٧) .

وحمل محمد عبده ورشيد رضا تلميذا الأفغانى لواء الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى ، كما لعب رضـــا دورا بارزا فى موجة المؤتمرات التالية على الغاء الخلافة (٣٨) .

ونشير فى هذا السياق إلى دعوة على أغا « الايرانى » فى مكة عام ١٩٠٨ م بعقد مؤتمر فى موسم الحج ليعـــالج القضايا الاقتصـــادية والاجتماعية دون أن يتعرض للخلافات السياسية بين المسلمين (٣٩) . وفى نفس الفترة اقترح مراد بك « أحد سكان القوقاز الفارين من الروس إلى تركيا » تشكيل مجلس من ٩ وجهاء مسلمين تحت اشراف شيخ الإسلام العثمانى ، يمثلون الاقاليم المستعمرة . وتعينهم السلطات الأوروبيـــة الاستعمارية ، ويكون من مهام هـــذا المجلس انتخـــاب الخليفة (٤٠) .

وقد اتخذت جمعية الاتحاد والترقى قرارا سريا فى اكتـــوبر ١٩١١ م فى سالونيك بأن يجتمع مؤتمر إسلامى فى القسطنطينية يضم وفود الدول الإسلامية ليناقش أمور المســـلمين ، ويتخـــذ قراراته بالتصويت (٤١) .

وفى عام ١٩١٣ م ، اقترح الشيخ عبد العزيز جاويش وهو فى منفاه الاختيارى فى اسطنبول عقد مؤتمر إســـلامى يكون مقره اسطنبول ، ووضع له ميثاقا من ١٢ نقطة . وإلى جانب المؤتمر تصور

انشاء عدد من الوكالات الفرعية للتعليم والثقافة وألا يكون لها علاقة بالسياسة ، كما اقترح انشاء عدد من المؤسسات الاقتصادية المشتركة منها اتحاد للبواخر والنقل الإسلامى ، وتشجيع استهلاك السلع الإسلامية بدلا من السلع الأوروبية • وانشاء لجان لمقاطعة سلع الدول التى ترتكب مظالم ضد الشعوب الإسلامية ، وتبادل الطلبة والمسؤولين والعلماء من أرجاء العالم الإسلامى ، وانشاء المصرف الإسلامى الدولى فى اسطنبول ، وانشاء جامعة إسلامية« Pan Islamic University » ودعا إلى ترويج هذه المشروعات فى مواسم الحج (٤٢) •

ثم استخدمت فكرة المؤتمرات الإسلامية فى نطاق مفهوم الجامعة الإسلامية كأداة لنضال الوطنيين الاتراك ضد القوى الغربية بعد الحرب العالمية الأولى ، ملتمسين فى ذلك عون الثورة البلشفية لمواجهة العدو الغربى المشترك • وهكذا عقد أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الفارين إلى أوروبا مؤتمرا إسلاميا فى موسكو عام ١٩٢١ م وضع فيه برنامج طموح لعقده دوريا ، وتشكيل جمعيات فرعية تتبع عصبة الجمعيات الإسلامية الثورية ، ودعا المؤتمر إلى تخليص الشعوب الإسلامية من الاستعمار الفرنسى والبريطانى بدعم سوفيتى (٤٣) • وحرر المؤتمر ميثاقا لتنظيم شبكة واسعة من الجمعيات الإسلامية الأخرى تعمل تحت قيادة تركيا لتقرير مصير الشعوب الإسلامية من الاستعمار والرأسمالية وتحقيق الوحدة الروحية بين المسلمين ، والدفاع عن الحقوق المدنية للاقليات الإسلامية (٤٤) •

وكان واضحا أن رجال تركيا الفتاة رغبوا فى التحالف مع الثورة البلشفية لاستخدام المسلمين فى مناهضة عدوهما المشترك الغربى ،

ولعب مبعوث أتاتورك فى موسكو « على فؤاد » دور ضابط الاتصال لهذه المجهودات • وعقدت العصبة ثلاثة اجتماعات برئاسة أنور باشا وشددت على إقامة علاقات نشطة مع الدولية الثالثة ومع موسكو ، ولكن العصبة اختفت بمقتل أنور باشا (٤٥) •

ومما يذكر أن فترة الحرب العالمية الأولى شهدت عددا من التطورات فى ذات الاتجاه • فظهرت مقترحات بعض العلماء فى اسطنبول فى صيف ١٩١٥ م لانشاء خلافة مؤقتة إذا سقطت اسطنبول أو دمشق أو غيرها وتكون على غرار الفاتيكان (٤٦) •

وحاول أتاتورك نفسه الاستفادة من تعاطف العالم الإسلامى مع قضيته فأنشأ جمعية سرية سماها جمعية الموحدين ، عقدت مؤتمرا إسلاميا فى نوفمبر ١٩١٩ م وقدم للمشاركين ميثاقا من ١٨ مادة للموافقة عليه ، وركز الميثاق على منح تركيا الاشراف على كامل العالم الإسلامى (٤٧) ، ولكن الجمعية تلاشت عام ١٩٢٠ • وتصور أتاتورك دورا إضافيا للجمعية والمؤتمر الإسلاميين ، وهو أن يكونا حلقة وصل بين السلطة التقليدية للخليفة وسائر المسلمين • ولكن سعى أتاتورك لاستخدام المؤتمر الإسلامى لخدمة أهدافه لم يخف خططه المقبلة فى التخلص نهائيا من الخلافة عندما انتهت وظيفتها أو عندما لم يجد ما يفيد منها • فبدأت المشروعات التركية المتضمنة الاستفادة من الخط الإسلامى تغفل الخلافة حيث كان الخليفة غير متجاوب مع أتاتورك • فى مارس ١٩٢١ م دعا مدير المطبوعات التركى صراحة إلى انشاء إتحاد دولى إسلامى فى أنقرة يضم كل العالم الإسلامى ، دون ذكر للخلافة ، ويكون هدف الاتحاد الدفاع عن المسلمين ضد المسيحية والرأسمالية وتجاوز الخلاف فى الرأى حول موقف الإسلام من الازمة الكبرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى أوروبا (٤٨) •

المطلب الثاني

المؤتمرات الإسلامية الساعية لانشاء منظمة دولية إسلامية

بصرف النظر عن الملابسات والظروف والجدل حول المبـادرات والشخصيات ، فإن الدعوة إلى انشاء منظمة إسلامية دولية دائمة لم تنقطع منذ الغاء الخلافة فى أواسط العشرينات ، وحتى قيام منظمة المؤتمر الإسلامي فى أوائل السبعينات • ولما كانت الدول الإسلامية ترزح تحت نير الاستعمار ، فقد وجدت المؤتمرات الإسلامية صعوبات كبيرة فى البوح بهدفها فى مقاومة الاستعمار واضطرت ـــ كشرط لانعقادها ـــ للتعهد بعدم الخوض فى القضايا السياسية •

ويجب أن نشير بادىء ذى بدء إلى موجة مبكرة من المبادرات التى تدعو لعقد مؤتمرات إسلامية منذ القرن التاسع عشر أى قبل الغاء الخلافة بنصف قرن تقريبا • وهـذه الموجة بدأت فيما تقول بعض المصادر (٤٩) على يد القس المستشرق البريطانى بلنت « Blunt » للقضاء على الرابطة بين المسلمين والدولة العثمانية التى قال بلنت انها المسؤولة عن تآكل الإسلام ، فنادى بنقل الخلافة من اسطنبول إلى مكة المكرمة ومن البيت العثمانى إلى عربى قرشى • وترى هذه المصادر أن بلنت نقل الفكرة عن القنصل البريطانى فى جدة زوهراب « Zohrab » واقترح بلنت دعوة مؤتمر إسلامى يقوم بانتخاب الخليفة (٥٠) • والواقع أن هذه الفكرة التى روج لها بلنت فى الصحافة البريطانية عام ١٨٨٢ م كانت تمثل خطا جديدا فى السياسة البريطانية تجاه تركيا منذ الاحتلال البريطانى لمصر ، ويقضى هذا الخط بالقضاء على الرابطة الإسلامية للدولة العثمانية مع رفض محاولات تقسيم

الامبراطورية العثمانية ، وفى ذات الوقت التودد إلى المسلمين بايهامهم بأن بريطانيا حريصة على وحدتهم ، ولتتفادى توجيه تركيا للمسلمين ضد الصليبية الأوروبية الاستعمارية ، فهى إذن خطة بريطانية للتسلل للتجمعات الإسلامية وتحطيم أدوات تركيا فى الاستفادة من العالم الإســـلامى •

واتصالا بنفس الخط عمل إسماعيل جاسبرينيسكى بحماس لعقد مؤتمر إسلامى فى القاهرة ، ثم تتناوب استضافته العواصم الإسلامية الأخرى ، وشكلت لجنة تحضيرية أعدت ميثاقا يشبه خطة الكواكبى فى أم القرى ، ولـــكن لم يلق الاستجابة الكافية فماتت الفكرة عام ١٩١١ م (٥١) •

ويمكن تجميع المؤتمرات الإسلامية المعروفة لدينا والمعقودة بين ١٩٢٤ م — ١٩٦٩ م فى أربعة مجموعات هى :

المجموعة الأولى : عقدت فى الفترة من ١٩٢٤ م — ١٩٣٥ م :

يصل عدد مؤتمرات هذه المجموعة إلى خمســـة نعرض لها فى إيجاز شديد :

١ — مؤتمر الحج ١٩٢٤ م :

عندما اختار الشريف حسين فى الحجاز جانب بريطانيا وأعلن الثورة على تركيا خلال الحرب العالميـــة الأولى وعدته بريطانيا فى محادثات مكماهون بأن تجعله سلطان العرب والمسلمين ولذلك عقد فى أغسطس ١٩٢٢ مؤتمر جزيرة العرب لنصرة القضية الفلسطينية وطالب الوفد الفلسطينى **ألا** يوقع الشريف مع بريطانيا على معاهدة تطبيع

العلاقات ألا بعد أن تقدم ضمانات حول فلسطين ، كما طالب بمقاومة المخطط الصهيونية والانتداب البريطانى على فلسطين • وأقترح انشاء جمعية تسمى « المؤتمر الإسلامى » لدعم النضال الفلسطينى (٥٢) •

وكانت تزايل الشريف أحلام الكواكبى فنظم مؤتمرا خلال الحج عام ١٩٢٤ م وأعد له ميثاق من ثمانية مواد يجعل انعقاده سنويا ، ويحدد مهمته فى رفع مستوى الوعى بين المسلمين ، وأكد أن الوحدة العربية نواة الوحدة الإسلامية ، وتعهد الميثاق بنشر اللغة العربية فى كافة الاقطار الإسلامية وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى المؤتمر وكان الشريف يطمع فى دعم المؤتمر بمطالبته بالخلافة الإسلامية ولكنه لم يتمكن من ذلك (٥٣) •

٢ — المؤتمر الإسلامى العام للخلافة فى مصر عام ١٩٢٦ م :

قام شيخ الأزهر « المنياوى » بمساندة خفية وبتمويل من القصر بعقد المؤتمر للمطالبة بتنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، كما دعا شيخ الأزهر « المراغى » عام ١٩٣٦ م بتنصيب فاروق خليفة ، وإلى عقد مؤتمر إسلامى لتحقيق الوفاق السنى الشيعى وفشلت المحاولة (٥٤) •

انعقد المؤتمر فى مصر فى ٢٥ مايو ١٩٢٦ م وحضره ٢٥ مندوبا وسط أزمة سياسية طاحنة بسبب ارتفاع بعض الأصوات المطالبة بأن تكون مصر مقر الخلافة وأن يكون الملك فؤاد خليفة المسلمين ، وانعكس ذلك فى أعمال المؤتمر إذ كثر عدد المتنافسين على الخلافة بحيث فشل المؤتمر فى مهمته وهى البحث فى مدى وجوب الخلافة ، وفيمن يكون خليفة • وأكتفى باصدار قرار بأن تستمر هيئة المجلس الادارى

للمؤتمر فى مصر وأن ينشأ لها شعب فى البلاد الإسلامية تكون على اتصال بها لعقد مؤتمرات متوالية (٥٥) • فقد انتهى المؤتمر إلى أن مركز الخلافة لا يمكن البت فيه ، وذكرت اللجنة المكلفة ببحث هـذه المسألة استحالة قيام الخلافة بعد نشوء الحكومات الوطنية ، ثم أن الأهم فى شروط الخليفة أن يكون له من النفوذ ما يستطيع معه تنفيذ أحكامه وأوامره وأن يدافع عن بيضة الإسلام وحوزة المسلمين طبق أحكام الدين •• وقالت أيضا أن قيام الخلافة مرتبط بوحدة الكلمة وغيـابها مرهون بتفرقة الكلمة وأنه « إذا فرض وأقيم خليفة عام للمسلمين فلا يكون له النفوذ الشرعى المطلوب ، ولا تكون الخلافة التى يتصف بها خلافة شرعية بمعناها الحقيقى ، بل تصبح وهمية ليس لها من النفوذ قليل ولا كثير •• » (٥٦) •

٣ ــ مؤتمر العالم الإسلامى فى مكة المكرمة ١٩٢٦ م :

دعا الملك عبد العزيز إلى عقد المؤتمر الإسـلامى فى وقت كان التنافس فيه شديدا على خلافة العالم الإسلامى ، وقبيل مبايعته فى الحجاز والاعتراف به من الدول الكبرى فى ذلك الوقت ، ثم آصر على عقده رغم البيعـة له ، وذلك « لبحث الوسـائل الكفيلة براحـة الحجاج » (٥٧) • وللحصول على تأييد العالم الإسلامى وقبوله للوضع الجديد (٥٨) •

استمر المؤتمر شهرا « من ٦/٧ ــ ١٩٢٦/٧/٧ م » وعقد ١٨ جلسة ، ولم يكن مسموحا للمؤتمر الخوض فى الخلافات بين الدول الإسلامية ولا المساس بالمسائل الداخلية والدولية للدول الأخرى • ويبدو أن نتائج المؤتمر كانت متوقعة ولكنها كانت متواضعة وقد عزاها

الملك عبد العزيز فى لباقة ، فى بيانه إلى المؤتمر إلى أن المؤتمر يحاول القيام بكل شىء ، فى أول مؤتمر إسلامى « وأخشى أن حرصنا على القيام بكل شىء يجعلنا نفقد كل شىء ، وأفضل شىء التدرج فى السير ، فرب عجلة وهبت ريثا » (٥٩) .

واتخذ المؤتمر عدة قرارات لم تر النور . فقد تقرر انشاء منظمة دائمة ، ودورات سنوية فى مكة المكرمة ، وميزانية ، وانتخاب لجنة تنفيذية عالمية فى عضويتها ، واختير شكيب ارسلان أمينا عاما للمؤتمر الإسلامى الوليد ، (٦٠) الذى أصبح مبناه مقرا للاحتفـــاء بالوفود الرسمية لحجاج كل عام .

٤ ــ المؤتمر الإسلامى العام فى القدس ١٩٣١ م :

جاءت فكرة هذا المؤتمر من مؤتمر مكة ١٩٢٦ م ، وكان هدفه الاحتجاج على الاستيطان الصهيونى والموقف البريطانى ، ولم ينعقد إلا بعد تعهد المفتى أمين الحسينى لبريطانيا بعدم الخوض فى القضايا السياسية وإحراجها مع الدول الأخرى . كما أكد لمصر وتركيا والاردن والعراق عدم تعرض المؤتمر لمسألة الخلافة ، ومع ذلك لقى مناهضة من الوكالة اليهودية ، ومن خصومه السياسيين فى القدس (٦١) . وسرعان ما تحول المؤتمر عن هدفه الدينى الضـــيق إلى جمعية عامة للاهتمام بالقضايا السياسية للمسلمين فى كل مكان (٦٢) . اشترك فيه لأول مرة أحد الشيعة الايرانيين وهو صلاح الدين طباطبائى الذى عين أمينا عاما للمؤتمر الذى تقرر انعقاده مرة كل سنتين ، وينتخب أعضاء اللجنة التنفيذية والمكتب الدائم ، فيكون مقره القدس وهدفه الدائم الدفاع عن فلسطين (٦٣) . ويعتبر المؤتمر أول مناسبة لتجنيد

العالمين العربى والإسلامى لمناهضة الحركة الصهيونية ، ودعم النضال الفلسطينى ، ومقاطعة السلع الصهيونية ومناهضة الاستعمار • شكل المؤتمر بعثة وساطة فى الخلاف السعودى اليمنى عام ١٩٣٤ م ، ولكن اندلاع الثورة العربية الكبرى فى فلسطين دفع السلطات البريطانية إلى حظر نشاطه ، وانتهى عمليا بذلك بعد أن تعذر عقد دورة ثانية له (٦٤) •

٥ ـ المؤتمر الإسلامى فى جنيف ١٩٣٥ م :

تولدت فكرته من مؤتمر القدس بمبادرة صحفى ومحامى مصرى فى باريس وضم أصلا المسلمين المقيمين فى أوروبا أجانب ووطنيين • وشكل ارسلان لجنة تحضيرية برئاسة صلاح الدين طباطبائى أمين عام مؤتمر القدس ، وساعدت صحيفة الغاياتى « المصرى الجنسية » « Tribune d'orient » على التعريف بالمؤتمر (٦٥) • وقد سمحت السلطات السويسرية بعقد المؤتمر بشرط تجنب القضايا السياسية ، وكل ما يسىء لعلاقات سويسرا مع الدول الأخرى • ويرى البعض أنه أشيع حينذاك أن المؤتمر ينعقد للدفاع عن السياسة الايطالية مما أخر انعقاده ، وأخيرا انعقد المؤتمر بعد تأجيله عدة مرات لقلة عدد المشاركين، وشارك فيه مسلمون من الدول الإسلامية وغير الإسلامية (٦٦) •

واختير ارسلان رئيسا للمؤتمر ورئيسا للجنة الدائمة ، وساد الاعتقاد لدى المتحدثين أن القضية الفلسطينية دينية رغم طابعها السياسى الواضح (٦٧) • ومثل المؤتمرات السابقة قرر المؤتمر أن يكون انعقاده سنويا ، وانتخب أعضاء لجنة دائمة وجعل الغاياتى أمينها العام ، وبالطبع لم يعقد المؤتمر دورات أخرى ، وانشغل العالم كله

بالاحداث الجسام التى تكثفت عام ١٩٣٥ م وأدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م ، وبذلك دخلت مبـادرات الدعوة إلى المؤتمرات الإسلامية المرحلة التالية .

المجموعة الثانية :

المبادرات خلال الحرب الثانية والمتأثرة بصراع القوى فيها :

حرصت دول المحور بشكل خاص على التركيز على الخط الإسلامى فى سياساتها للاستفادة من المشاعر الإسلامية ضمن المجهود الحربى .

ولكن المطالبة بانشاء منظمة دولية إسلامية للدفاع عن فلسطين ظلت حتى قبيل الحرب مسموعة فى أرجاء العالم الإسلامى . من ذلك أن المؤتمر البرلمانى العربى الإسلامى المنعقد فى القاهرة فى أواخر اكتوبر ١٩٣٨ م ، رغم غلبة الاتجاهات القومية والعربية عليه ، فقد أعلن أن هدفه الدفاع عن فلسطين (٦٨) .

وقد عمدت الحكومة اليابانية إلى انشاء **العصبة الإسلامية اليابانية** الكبرى « Greater Japon Muslim League » ، تتبعها جمعيات فرعية للمسلمين فى دول شرق آسيا ، وكان هدفها المعلن اشعار العالم الإسلامى أن اليابان مصممة على الدفاع عن مصالح المسلمين (٦٩) .

ودعيت وفود إسلامية إلى المعرض الإسلامى فى طوكيو فى نوفمبر ١٩٣٩ م ، وعقدوا « المؤتمر الإسلامى العالمى الأول » وقرر عقده سنويا فى طوكيـو تحت رعاية العصـبة الإسـلامية ، ولكن اندلاع الحرب أعاق انعقاده . ويرى بعض الباحثين أن اليابان نجحت بذلك فى جذب عناصر وطنية فى دول شرق آسيا ساندت احتلالها لدولهم (٧٠) .

أما المانيا ، فلا يبدو أنها تحمست لتجنيد المسلمين ضد الحلفاء رغم ميل بعض الدول والشخصيات الإسلامية نحو المانيا عاطفيا أو سياسيا (٧١) وأما إيطاليا ، فقد أساءت إلى مشاعر المسلمين منذ غزوها لليبيا ، وبطشها بالشعب الليبى ثم غزوها للحبشة وارتيريا ، فلم يكن هناك مجال لها لمحاولة كسب المشاعر الإسلامية ، خاصة وأن ايطاليا لم تستمر طويلا فى الحرب •

المجموعة الثالثة : مؤتمرات الخمسينات والستينات :

بعد الحرب العالميـــة الثانية انشغل العالم الإســـلامى بتصفية الاستعمار فقامت باكستان ١٩٤٧ م ، واستقل الشام ، ونشـــطت حركة الاستقلال فى مصر فيما عرف بالمسألة المصرية فى المحافل الدولية، ثم كانت نكبة فلسطين وإقامة اسرائيل عام ١٩٤٨ م وأحداث الهدنة ١٩٤٩ م ومشروعات التسوية ، ثم الثورة المصرية والحركات الوطنية فى شمال أفريقيا العربية طوال الخمسينات • وهكذا لا نعلم سوى القليل عن مؤتمرات إسلامية فى نهاية الاربعينات منها مؤتمرات النساء المسلمات فى القاهرة •

وقد كان الحج دائما مصدر الايحاء بفكرة المؤتمرات الإسلامية جميعا منذ لفتت الظاهرة نظر الكواكبى فى أواخر القرن الماضى • وكذلك كان موســـم الحج هو ما أوحى لجمال عبـــد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » بفكرة المؤتمر الإسلامى ، ثم تبنت المملكة العربية السعودية الدعوة إلى المؤتمر الإسلامى • ويبدو أن موضوع المؤتمر الإسلامى صار مثل غيره من الموضوعات كتصفية الاستعمار موضوعا فى الحرب الباردة العربية منذ أواخر الخمسينات وأوائل الستينات

مع وقوع بعض الاحداث الكبرى « الانفصال ــ الحرب فى اليمن . » وفى اطار هذه الموجة نشأت رابطة العالم الإسلامى ١٩٦٢ م التى دعا مؤتمرها العام عام ١٩٦٥ إلى عقد قمة إسلامية بعد أن طرح الملك فيصل الفكرة فى خطبة الافتتاح (٧٢) . ويذكر البعض (٧٣) أن لقاء عقدته دول وحركات إسلامية فى مقديشيو عام ١٩٦٤ م دعا إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى لبحث المشاكل التى تعانى منها الأمة الإسلامية ، والاتفاق على وسائل معالجتها .

وفى الدورة السابعة لمؤتمر العالم الإسلامى بعمان ١٩٦٧ م دعا المشاركون إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى لبحث قضية فلسطين ، واستعادة القدس (٧٤) .

المجموعة الرابعة : مؤتمر القمة الإسلامى الأول والتلاقى العربى الإسلامى :

حول الصراع العربى الإسرائيلى :

كان استيلاء إسرائيل على كامل الأراضى الفلسطينية والقدس بأكملها بعد حرب ١٩٦٧ م نقطة اللقاء العربى الإسلامى بشكل محدد حول الصراع العربى الإسرائيلى . وكان حريق المسجد الاقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١ م مناسبة تنادى بسببها الزعماء المسلمون للاجتماع على مستوى القمة فى الرباط وهى أول قمة إسلامية حكومية فى العصر الحديث ، كما سيأتى فى الفصل الثانى .

السبيل إلى التنظيم الدولى الإسلامى :

يتضح من المسيرة الطويلة التى قطعها العالم الإسلامى ليصل إلى انشاء منظمة المؤتمر الإسلامى بعد حوالى نصف قرن من الغاء

الخلافة وما يقرب من قرن من بدء المبادرات الداعية للتجمع والتضامن الإسلاميين . وإذا قارنا بين الطريق إلى التنظيم الدولى الإسلامى ، والطرق المختلفة إلى المنظمات الدولية فى أوروبا ثم المنظمات العالمية « العصبة والأمم المتحدة بالاضافة إلى الوكالات المتخصصة » لوجدنا أن المنظمات الدولية الأخرى سلكت طرقا متعددة منها المباريات والاحتفالات الرياضية عند قدماء اليونان (٧٥) ، وإقامة المعارض السنوية بين المدن التجارية فى العصور الوسطى ، وشبكة الأعمال المصرفية (٧٦) ، ومنها احلام المصلحين فى إقامة سلام دائم (٧٧) ، ومنها الأسلوب الوظيفى أى انشاء منظمات المصالح غير السياسية تطبيقا لنظرية دافيد متراني ، الوظيفية الجديدة (٧٨) والنظرية الدستورية أو المؤسسية « Constitutional & institutional » (٧٩) ومنها الطريق الاندماجى والفيدرالى (٨٠) المرادف فى بعض السمات الوظيفية مثل بعض المنظمات الأوروبية ، ومنها طريق التحالف مثل الاحلاف العسكرية (٨١) . ورغم تعدد هذه الطرق فلا يزال أشهرها تاريخيا أسلوب المؤتمرات منذ صلح وستفاليا ١٦٤٨ م ، وبشكل خاص منذ مؤتمر فيينا ١٨١٥ وحتى قبله (٨٢) ، فحينما انتهت المؤتمرات واللقاءات الدولية إلى ارساء عناصر التنظيم الدولى الأساسية الثلاثة وهى الدستور « ميثاق المنظمة » والأجهزة « خاصة الأمانة العامة » ، ثم تفاعل الارادات السياسية من خلال عملية اتخاذ القرارات (٨٣) « Institutional and functional aspects » ومن الوسائل المشهورة أيضا ترتيبات تنظيم الملاحة فى الأنهار الدولية والمرافق والأجهزة الادارية (٨٤) .

ونلاحظ أن منظمة المؤتمر الإسلامى قد نشأت عبر طريق المؤتمرات

الإسلامية المتقطعة ، ورغم أن المؤتمرات كانت — لظروف واضحة — ممنوعة من تناول المسائل السياسية ، فقد مهدت أرضية أدت إلى انشاء منظمة رسالتها الأولى سياسية لكنها محكومة بقيود الطابع الحكومى لوضعها فى النظام الدولى ، كما سنرى فى ثنايا هذه الدراسة خاصة فى الفصول الثالث والسابع والثامن •

وإذا كنا قد انتهينا فى هذه الدراسة إلى أن منظمة المؤتمر الإسلامى منظمة اقليمية من نوع خاص ، فإننا لا نستطيع أن نشايع بصددها النظرية القائلة بأن المنظمات الاقليمية نشأت فى نطاق الأمم المتحدة لأسباب من بينها محدودية دور الأمم المتحدة فى مجال الأمن الجماعى (٨٥) ، لاننا سنرى محدودية دور المنظمات الإسلامية نفسها فى مجال التسوية السلمية والأمن الجماعى الإسلامى •

هوامش الفصل الأول

(١) انظر للتفصيل حول مصطلحات الخلافة والفاظ الامامة د. محمد الصادق عفيفى « المجتمع الاسلامى والعلاقات الدولية » القاهرة (بدون) ص ٢٢٢ وما بعدها . وانظر فى الخلافة عند الفقهاء والفلاسفة والأخلاقيين : د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ط ١ ١٩٦٧ ، ص ٣٠٣ وما بعدها .

(٢) أنظر المحاولة التى قدمها د. محمد طلعت الغنيمى فى كتابه « The muslim Conception of International Law ond the western approach Sijthoff, 1968. ç

(٣) M. khadduri, The Islamic Law of Nations (Shaybani's Siyar) The John Hopkins Press, 1966, p. 20.

(٤) راجع للتفصيل كتابنا (تحت الطبع) « The Legal position of witness to treaties in International Law »

(٥) د. عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، عصر الخلفاء الأمويين ، ج ٢ ، ط ٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٢ ، ص ٢١ ، وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٨) انظر للتفصيل د. محمد الصادق عفيفى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٩) راجع للتفصيل والأمثلة د. حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

(١٠) نقلا عن المرجع السابق .

(١١) المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

(١٢) انظر خضوري ، مرجع سابق ، ص ٢١ — ٢٢ حيث يرى أن المدرسة الشافعية عكست في هذا الصدد ظهور الاتجاهات اللامركزية منذ القرن العاشر وبلغت ذروتها بوجود دول منفصلة أوائل القرن ١٦ .

(١٣) د. حسن ابراهيم حسن ، ص ٣١٣ — ٣١٤ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٣١٥ — ٣١٦ .

(١٥) د. أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية (بدون) ص ٩٤ — ٩٥ .

(١٦) د. حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(١٨) للتفاصيل ، انظر المرجع السابق ، ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

(١٩) د. أحمد مختار العبادى ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٢٠) يرى بعض المؤرخين ومن بينهم المؤرخ المستشرق الأمريكى Lothrop Stoddard أن الترك اتخذوا من الخلافة لقبا وحاولوا في بعض الأحيان استغلالها . ويذكر أن العرب في جملتهم ظلوا ينظرون للترك على انهم غاصبون للخلافة . انظر كتابه « حاضر العالم الاسلامى » ترجمة عجاج نويهض ، دار الفكر (بدون تاريخ) ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

وهناك فريق من الكتاب يعتقد بوجود الخلافة ولكن لا يتمسك بها في تركيا مثل د. محمد فتحى عثمان : من أصول الفكر السياسى الاسلامى ، الرياض (بدون تاريخ) ص ٤٧ وما بعدها ، وهناك فريق آخر يقدر الدور الاسلامى للدولة العثمانية ويرى فيها حماية للاسلام والمسلمين .

(٢١) راجع على سبيل المثال : د. سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، بيروت (بدون تاريخ) .

(٢٢) Martin kramer, Islam Assembled, The advent of the muslim congresses, Columbia University Press 1986, pp. 4 - 7.

(٢٣) أحمد أمين ، يوم الاسلام ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١٣٩ ، د. على عبد الحليم محمود ، جمال الدين الافغانى والاتجاهات الاسلامية فى أدبه ، عكاظ ، جدة ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٢٤) أحمد أمين مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٢٥) أحمد أمين مرجع سابق ، ص ١٤٠ — ١٤١ . كذلك يرى د. محمد محمد حسين أن مهاجمة كرومر الدائمة للمسلمين وتصوارهم فى صورة الهمج قد اعان على تعلق الناس بالفكرة الاسلامية . د. محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، ج ١ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٢٦) راجع تفاصيل عن المؤتمر المضاد فى أحمد أمين ، ص ١٤١ .

(٢٧) ستودارد ، مرجع سابق ، الفصل الثانى حول الجامعة الاسلامية ، ص٢٨٧ — ٣٢٨ .

(٢٨) انظر فى تقويم دور الافغانى فى وجهة نظر مخالفة لما هو معروف ، د. لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث ، البحث الثانى ، الجزء الأول ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٥٣ وما بعدها . وانظر فى نفس الاتجاه وتقويمه واتهام الأفغانى ومحمد عبده بالماسونية مثلما اتهمت الثورة العرابية بالعلاقة مع الصهيونية والماسونية ، د. محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٠٧ وما بعدها .

(٢٩) راجع تفصيلا وافيا فى العلاقة بين الدعوة القومية العربية والدعوة الاسلامية مجيد خضورى ، الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٢٨ وما بعدها . وعن التفاعل بين الحركة العربية والحركة الطورانية . انظر د. محمد محمد حسين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٩١ ، وكذلك الفصل الثانى عن الجامعة العربية .

(٣٠) أنظر على سبيل المثال :

Sir W. Muir, The Califate : its rise, de-

cline and fall, « London 1915, Sir Mark Sykes » The Caliph's last heritage, London, 1915.

(٣١) انظر فى تفصيل ذلك د. محمد ضياء الدين الريس ، الاسلام والخلافة فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٦٤ وما بعدها. وانظر فى تطور موقف المصريين من تركيا قبل الغاء الخلافة وبعده ، د. محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ٢ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١١ وما بعدها . و د. زكريا سليمان بيومى ، الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ — ١٩٤٨) ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٤ وما بعدها . ويذكر طارق البشرى أن بعض المصريين ايدوا فصل الدين عن الدولة فى تركيا ، كما ايدوا تجريد الخليفة من سلطاته « انما الأمر الذى اهتز له الوجدان الدينى هو الغاء الخلافة ذاتها كمنصب دينى أو كرمز لتجميع الأقطار الاسلامية » وتضمنت ردود الفعل الاحتجاج على انفراد الأتراك وحدهم بأمر الغاء الخلافة ، انظر كتابه ، المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية — الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠ ، ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٣٢) دافع انصار الخلافة عنها مباشرة حتى قبل الغائها مثل ذلك رشيد رضا فى كتابه حول الخلافة والامامة العظمى . أما الاتجاه الثانى فكان تارة معاديا صراحة للخلافة مثلما فعل مؤلف تركى مجهول فى كتاب ظهر عام ١٩٢٣ بعنوان « الخلافة وسلطة الأمة » . انظر د. بيومى هامش ١ ، ٢ ص ٤٥ مرجع سابق . واتخذ هذا الاتجاه تارة أخرى صورة الدفع بأن الخلافة ليست من أصول الحكم فى الاسلام مثل الشيخ عبد الرازق « الاسلام وأصول الحكم » . وقد خالفه فى ذلك د. السنهورى فى رسالته بالفرنسية « الخلافة » عام ١٩٢٥ . انظر مجيد خضورى مرجع سابق ، ص ٢٤٦ وما بعدها وقد اطلق على اتجاه السنهورى العلمانية التشريعية .

(٣٣) د. زكريا بيومى ، مرجع سابق ، ص ٥٧ — ٦٠ .

(٣٤) كان المطالبون بالخلافة ملك مصر ، ملك الأفغان ، شريف مكة ،

سلطان مراكش ، فى ذات الوقت الذى عقد فيه « السلطان عبد العزيز آل سعود المؤتمر الاسلامى فى مكة المكرمة لبحث أوضاع الأماكن المقدسة . انظر للتفصيل د. زكريا سليمان ، مرجع سابق ص ٥٩ — ٦٠ . وانظر أيضا د. محمد محمد حسين ، ج٢ ، ط٢ ، ١٩٦٨ ، مرجع ، ص ٤٦ — ٤٧ .

(٣٥) كريمر مرجع سابق ، ص ١٩ — ٢١ . ويرى كريمر أن الأفغانى قد لا يكون قد عارض رئاسة السلطان للمؤتمر الاسلامى ، ولكن الايرانيين المحيطين بالأفغانى فى اسطنبول رغبوا فى الاعلاء من شأن الأفغانى واظهار شجاعته فى معارضته السلطان .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٣٨) نفس المرجع ، ص ٢٦ .

(٣٩) نفس المرجع ، ص ٤٨ .

(٤٠) نفس المرجع ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤٢) راجع تفاصيل أوفى فى المرجع السابق ، ص ٥٠ — ٥٢ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ — ٧١ .

(٤٤) راجع ميثاق العصبة فى الملحق الثانى فى المرجع السابق ، ص ١٧٥ — ١٧٧ .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٦١ — ٦٢ .

(٤٧) انظر التفاصيل فى المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٥ ، والميثاق فى الملحق الثالث فى المرجع السابق ، ص ١٧٨ — ١٨٠ .

(٤٨) انظر التفاصيل فى المرجع السابق ، ص ٧٦ — ٧٩ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٥٠) نفس المصدر ، ص ١٥ — ١٧ .

(٥١) المرجع السابق ، ص ٤١ — ٤٦ وانظر الميثاق فى الملحق الاول فى المرجع السابق ، ص ١٧١ — ١٧٤ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ — ٨٣ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ — ٨٥ وانظر الميثاق فى الملحق الرابع فى المرجع السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ٨٦ — ١٠٥ .

(٥٥) انظر فى تفاصيل الاعداد لمؤتمر الخلافة طارق البشرى ، ص ٢٩٧ وما بعدها . والنشاط المضاد للخلافة ص ٣١٩ وما بعدها . وعن اعمال المؤتمر وتقييمه ص ٣٢١ — ٣٢٣ ، د. محمد محمد حسين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٤٥ — ٥٠ .

(٥٦) طارق البشرى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

(٥٧) انظر فى تفاصيل وتطور الدعوة للمؤتمر ، د. مديحة درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، دار الشروق ١٩٨٠ ، ص ١٣٠ — ١٣٣ وما بعدها .

(٥٨) المرجع السابق ، ص ١٣٩ حيث نص برقية الدعوة لعقد المؤتمر .

(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٦٠) كريمر ، مرجع سابق ، ص ١١٧ — ١١٩ .

(٦١) المرجع السابق ، ص ١٢٤ — ١٢٧ .

(٦٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٦٣) نفس المرجع ، ص ١٣٦ — ١٣٩ .

(٦٤) نفس المرجع ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

(٦٥) كريمر ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ — ١٤٦ .

(٦٦) المرجع السابق ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(٦٧) المرجع السابق ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٦٨) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٦٩) المرجع السابق ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٧٠) نفس المرجع ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٧١) انظر التفاصيل المؤيدة لهذا الاستنتاج ، في المرجع السابق ، ص ١٥٨ — ١٦٤ .

(٧٢) منظمة المؤتمر الاسلامي ، الامانة العامة — جدة ، (بدون تاريخ) المقـــدمة .

(٧٣) نفس المرجع .

(٧٤) نفس المرجع .

(٧٥) انظـــر Lawrence Farley, Change Processes in International Organizations, Schenkman Publishing Company, INC., Cambridge Massachussetts, 1982, pp. 19 - 20.

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٢٨ — ٣٥ .

(٧٧) المرجع السابق ، ص ٣٩ — ٤٠ و ٤٥ .

(٧٨) يسمى هذا المنهج أيضا peace by pieces انظر أيضا مقـــال جورج ابى صعب :

The Concept of International organization : a synthesis, pp. 18 - 19, in Abi Saab (ed) The Concept of International Organization, UNESCO, 1980.

ويرى البعض أن الوظيفية بدأت تذبل منذ الستينات لتترك مكانها لنظرية اجدى تركز على أهداف التنمية الاقتصادية ويطلق عليهـــا Developmentalism راجع التفاصيل في :

R. Cox & M. Jacobson, The decision making approach to the study of international organization, in (Georges Abi Saab (ed) op. cit. p. 92.

وانظر فى تطبيق النظرية ونشأة المنظمات الوظيفية واللجان المختلفة فى أوروبا ، نفس المرجع ، ص ٣٥ — ٣٦ . وانظر دراسة وافية للوظيفية والوظيفية الجديدة والاندماج لنشأة المنظمات الدولية
Chadwick Alger, Functionalism and integration
as approaches to international organization, pp. 122 - 142 in Georges Abi Saab (ed)

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٤٠ — ٤١ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٨١) المرجع السابق ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٨٢) انظر فى نظام المؤتمرات ودبلوماسية المؤتمرات كأسلوب لنشأة المنظمات الدولية ، جورج أبى صعب ، مرجع سابق ، ص ١٠ — ١١ . وانظر أيضا فى نفس الكتاب حول أسلوب المؤتمرات فى نشأة المنظمات قبل القرن التاسع عشر وخلاله مقال :
Pierre Gerbet, Rise and development of international organization pp. 28 - 37.

ويذكر جربيه أن جذور فكرة الأمانة الدائمة كأساس للمؤتمرات الدورية بدأت خلال مؤتمرات لاهاى عامى ١٨٩٩ — ١٩٠٧ ، راجع ص ٣٣ من نفس المقال .

(٨٣) أبو صعب مرجع سابق ، ص ١٢ — ١٨ .

(٨٤) انظر التفاصيل فى مقال جربيه ، مرجع سابق ، ص ٣٥ — ٣٧ .

(٨٥) انظر تفاصيل هذا الرأى فى المرجع السابق ، ص ٤٨ .